

تعليم المرأة كما يراه ابن باديس من خلال مخطوطة بخط يده

د. مصطفى بن واز
جامعة بشار

ملخص الموضوع:

في إطار الحركة الإصلاحية التي انتهجها ابن باديس حرص على دفع حركة التعليم والدعوة إليه، وجعل من أولويات نجاحه تعليم المرأة التي حرص على مراسلة السيدة عادلة بيهم الجزائري رئيسة جمعية دوحه الآداب لتبين له الشروط التي تسمح للالتحاق فتيات جزائريات لإتمام دراستهن بالشام، وذلك من خلال مخطوطة مكتوبة بخط يده، سنبين في هذا المقال نص المخطوطة، ومحتواها والأسباب التي دفعت بالشيخ ابن باديس إلى تحريرها.

The education of women as seen by IbnBadis through a manuscript his own handwriting

Dr. Mustapha Ben Wazz

Abstract:

In the framework of the reform movement pursued by IbnBadis ,he keens to push the education movement and calling to it , and makethe women's educationone of his success priorities which he keens to correspondence the President of Al Doha Association of Arts Ms. AdlaBihem Al Djazairi to show him the conditions that will allow the Algerian girls to join Al Sham to complete their schooling.

And this is through a manuscript written in his own handwriting, in this article we will show the text of the manuscript, and the content and the reasons that prompted Sheikh IbnBadis to edit it.

تقديم:

أن تنال حقلك من التعليم في عهد الاحتلال الفرنسي فذاك أمر شديد الصعوبة، وأن تتعلم الفتاة في ظل تقاليد بالية غرسها الاستعمار فذاك أمر يبدو مستحيلا، أما أن تفكر في إرسال فتيات خارج الجزائر لاستكمال تعليمهن فذاك لعمري أمر لم يخطر على بال في ظل ظروف أقل ما يقال عنها أنها شديدة الصعوبة في مختلف الميادين والبلاد تحت وطأة الاستعمار.

إن هذا الأمر العظيم قد أقدم عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما فكر بإرسال فتيات جزائريات إلى الشام بغرض إتمام دراستهن في إحدى المدارس تحت إمرة سيدة تدعى عادلة بيهم الجزائري، فأصلها الجزائري وولادتها اللبنانية ومنشأها السوري عوامل تفاعلت فيما بينها في صقل شخصيتها التي أبانت بعد ذلك عن معدن أصيل.

إن العلم طريق الهداية إلى الحياة الشريفة ، فالإنسان بدون علم كقشرة بدون لب ولذلك سعى بن باديس من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتدارك ذاك التخلف العلمي الذي تسببت به فرنسا، فذهب لتعليم البنين والبنات حتى تستطيع الأمة أن تستدرك ما فاتها من الوقت في سبيل تلخيصها من برائين الاستعمار.

لقد عمل ابن باديس على التركيز على تعليم المرأة لأنه كان يعلم أن تعليمها يمثل حجر الزاوية في أية حركية لتغيير مجرى الأحداث في الجزائر، فكان ديدانه محاربة الجهل بكل

الطرق المتاحة في ظل عراقيل فرضتها فرنسا حتى يبقى الشعب رهين إرادتها كيف ما شاءت.

محتوى المخطوطة

هي عبارة عن مراسلة تمت بين الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعادلة بينهم الجزائري رئيسة جمعية دوحة الآداب المحترمة، و تتضمن ما يلي:

- ❖ التذكير بطبيعة الروابط التي تربط بين الشام والجزائر والمتعددة من تاريخ ولغة ودين.
- ❖ عرض حول المؤسسات العلمية الموجودة بالجزائر خاصة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة التي تعد واحدة من المؤسسات التعليمية التي رفعت لواء التكوين لمحاربة الجهل في ظل إصرار الاستعمار على فرض الأمر الواقع.
- ❖ التعريف بالنهضة الأدبية التي تعرفها الجزائر ومنطلقاتها العربية والإسلامية للرفع من المستوى العقلي والأخلاقي للشعب الجزائري.
- ❖ تتضمن المخطوطة طلب الشيخ ابن باديس من السيدة عادلة بينهم الجزائري رئيسة جمعية دوحة الآداب بالشام معرفة الإجراءات التي ينبغي معرفتها قصد إرسال فتيات جزائريات لإتمام دراستهن هناك.

نص المخطوطة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

قسنطينة 9 جمادى الثانية 1357 هـ . أوت 1938 {1}

حضرة السيدة الجليلة {2} رئيسة جمعية دوحة الآداب {3} المحترمة السلام عليكم

ورحمة الله وبركاته

وبعد فاسمحي لي سيدتي أن أتقدم إلى حضرتكم بهذا الكتاب عن غير تشرف سابق بمعرفتكم، غير ما تربطنا به الروابط العديدة المتينة التي تجمع بين القطرين الشقيقين الشام {4} والجزائر.

يسرك سيدتي أن تعري أن بالجزائر نهضة أدبية تهذيبية {5} تستمد حياتها من العروبة والإسلام غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والأخلاقي. ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة {6}.

ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها المجلة "الرابطة العربية" {7} رغبت أن ترسل بعض البنات ليتعلمن من مدرسة الجمعية. فهي ترغب من حضرتكم أن تعرفوها بالسييل إلى ذلك {8}. تفضلي سيدتي بقبول تحيات الجمعية وإخلاصها والسلام {9}. من رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس.

صاحب المخطوطة :

لقد اهتم بما بنتا ففتح لها مجال التعليم - كما يتعلم الابن - وقد كانت محرومة منه تماما، تعيش ظلاما دامسا... لأن رجال الدين عندنا كانوا يحرمون عليها تعلم القراءة والكتابة! ويعتبرونها عورة يجب سترها {10}.

لقد عمل ابن باديس على توعية عامة في الجزائر لإقناع الآباء بوجوب إرسال بناتهم للتعليم في مدارس التربية والتعليم الإسلامية التي أنشأها في البلاد وخاصة مدرسته هو بقسنطينة.

لقد استطاع إقناع الناس بمشروعه حتى آمنوا بحقها واقتنعوا بوجوب تعليمها، فتركوا بناتهم يتعلمن مثل البنين، وامتألت به المدارس بعد ذلك بزمان غير قليل ومن أمثلة ذلك مدرسة الحديث بتلمسان {11}.

عادلة بينهم الجزائري:

امرأة خطت لنفسها طريق المجد قصد بناء وطنها الذي كان يعاني من وطأة الاحتلال، لقد نشأت في أسرة هيأت لها جميع الظروف لتصبح على ما أصبحت عليه. فقد ولدت عادلة بينهم في بيروت عام 1900 تلقت علومها في معهد «الدياكونيز» الألماني وتعلمت في اللغة العربية على يد العلامة الشيخ «عبد الله البستاني»^{12} صاحب المعجم الشهير «البستان» وهذا ما منحها لغة عربية أصيلة، أمّنت لها نشأة ساعدتها في المضي في طريق النضال على جبهات عدة^{13}.

لقد عرفت حياتها محطات مختلفة كانت كلها نشاط وإصرار وصبر جعلها في الأخير محبا احترام الجميع ومنهم الشيخ ابن باديس.

في عام 1915 أسست عادلة بينهم ورفيقاتها جمعية «يقظة الفتاة العربية» غايتها إيقاظ الوعي القومي العربي النسوي وتعليم الفتيات اللواتي حالت ظروفهن دون التعلم. ثم اشتركت في تأسيس «جمعية الأمور الخيرية للفتيات العربيات» وكان لها ناديها ومدرستها وتطوّع أعضاء الجمعية للتدريس فيها^{14}. ولأن المرأة كانت تريد أن تجعل من مثيلاتها نموذجا يحتذى به ونبراسا في طريق بناء الوطن، فقد أسست جمعية يقظة المرأة الشامية عام 1927 التي هدفت إلى تشجيع عمل النساء في الريف وإحياء وتنظيم الصناعات اليدوية التقليدية^{15}.

إن هذه المرأة من عائلة بينهم وكان منها «جميل بينهم» أحد أفراد أسرتها، وهو لم يأل جهداً في السعي لتحرير المرأة ودفعها نحو التعلم والتقدم والرفي، ومما قاله في هذا الإطار: "إذا أردت يا ابنة قومي أن يصبح لك استقلال ونفوذ فعليك أن تعلمي، ولا أريد بالعمل أن تعكفي على مطالبة الرجل، وأن تقتصري على التمني، كلا، إنما يجب عليك أن

تنافسي الرجل في خدمة المجموع ... وأنت يا سيدتي الكريمة عفواً عفواً فهذه أولادنا على ذراعيك، وهذه شبابنا منحنية أمامك وهذه شيوخنا مستمدة رعايتك فالوطن كله بين يديك ومستقبله موقوف عليك فخفي إلى العمل، بادري إلى خدمة هذا الوطن ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره" .. {16}

انتخبت السيدة "عادلة بيهم" رئيسة للاتحاد النسائي العربي السوري؛ ليكون الثاني في المنطقة بعد الاتحاد النسائي المصري 1923 بقيادة "هدى شعراوي". لتأتي الخطوة الأهم وهي مشاركة الاتحاد النسائي السوري عام 1937 في التنمية عن طريق إطلاق مشروع إنعاش القرى ومكافحة ؛ ثم بعد ذلك أعلن عن تأسيس أول اتحاد نسائي عربي عام؛ وكانت السيدة بيهم الجزائري من الموقعين على وثائق تأسيسه {17}.

وبمناسبة اليوم العالمي للمرأة عام 1975 قامت سوريا بتكريم السيدة عادلة بيهم الجزائري وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة تقديراً لجهودها وعطاءاتها.. ولما عاجلتها المنية سلم بعد غيابها لابتها أمل في الحفل التأبيني الكبير، الذي أقامه الاتحاد النسائي على مدرج جامعة دمشق بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاتها.. وتخليداً لهذه السيدة العظيمة أمر الرئيس بإطلاق اسم عادلة بيهم الجزائري على مدرسة في آخر خط المهاجرين.. {18}.

الهوامش:

1- عرفت هذه الفترة عدة معطيات:

- مرور أكثر من مائة سنة على احتلال الجزائر وما يعني ذلك من تدمير للكيان الجزائري على جميع الأصعدة خاصة ما تعلق بمقومات شخصيته.

- مرور سبع سنوات على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

-اجتماع عدة مؤشرات عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية منها حل حزب الشعب الجزائري والتضييق على الحركة الوطنية بشكل عام.

إن كل هذا معناه أن هذه الرسالة جاءت في ظروف حبلى بأحداث مختلفة سياسية واجتماعية وثقافية.

2- يخاطب الشيخ عبد الحميد بن باديس السيدة عادلة بيهم بالسيدة الجليلة دلالة على قيمتها وعلو شأنها من جهة وعلى احترامه للمرأة وتقديرها من جهة ثانية.

3- جمعية دوحة الأدب :جمعية تربية وثقافية تأسست عام 1928 ، في اجتماع حاشد في المجمع العلمي العربي، حيث وضعت أهداف هذه الجمعية اللبنة الأولى لإشراك المرأة في الحياة العامة، وبخاصة في النضال الوطني، وترجمت ذلك بإحداث مدرسة لتنشئة الفتيات تنشئة تعتمد على روح تقدمية للقومية العربية، لم يستسغ المستعمر الفرنسي الفكرة، فامتنع عن

الترخيص لها، وفي عام 1931 افتتحت المدرسة أبوابها دون ترخيص. ينظر: ويس. علياء، عادلة بيهم الجزائري أميرة الرائدات العربيات في القرن العشرين، مجلة ياسمين سوريا ، العدد 12، ص ص 38- 39 .

4- الشام : هو اسم تاريخي لجزء من المشرق العربي يمتد على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط إلى حدود بلاد الرافدين .تشكّل هذه المنطقة اليوم بالمفهوم الحديث كل من :سورية ولبنان والأردن وفلسطين، ولكن بعض المرات يقصد بها سوريا كما يفهم من مخطوطة ابن باديس.

5- "فقد رابط ابن باديس في الجامع الأخضر بقسنطينة أكثر من ربع قرن يعلم ويربي الشبيبة بالمهارة ، ويعظ ويرشد ويفسر القرآن ويشرح الحديث للمواطنين بالليل، حتى بعث في الجزائر نخضة عربية إسلامية واسعة النطاق أعادت اللغة العربية مكانتها في الجزائر، وللإسلام سلطانه في التوجيه والقيادة".

ينظر: تركي. رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900 - 1940، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ت) ، (د.ط) ، ص ص 356- 357 .

6- جمعية تربية تعليمية يقول تركي رابح: " في 1930 قرر ابن باديس تحويل الجمعية الخيرية إلى جمعية التربية والتعليم الإسلامية، حيث حرر قانونه الأساسي وقدمه باسمها إلى الحكومة فصادقت عليه - دون أن تدرک خطورته - وكان هذا في شهر فبراير 1931 حيث صدر الاعتراف بالجمعية في الجريدة الرسمية لحكومة الجزائر الفرنسية... ينظر: تركي. رابح، المرجع السابق ص 359.

- 7- مجلة الرابطة العربية مجلة سياسية ثقافية كانت تصدر في مصر لصاحبها الكاتب المعروف (أمين سعيد) كما أنها كانت تتميز بتناول الشؤون العربية. (في الملحق صورة خاصة بالمجلة).
- 8- يقول م . ص . رمضان : " فلما أتمت تلميذات مدرسته (ابن باديس) تعليمهن الابتدائي، هياً لهن الطريق إلى الشرق سنة 1939 ليتمن تعليمهن الثانوي والعالي في سوريا الشقيقة، ولكن الحرب العالمية الثانية أعلنت في نهاية صيف هذه السنة فأوقف مشروعه إلى أن تنتهي الحرب، وعاجلته الوفاة سنة 1940 قبل أن تضع الحرب أوزارها وقبل أن ينفذ مشروعه هذا، وأعقب ذلك توقف الجمعية وتشتت رجالها بسبب ويلات الحرب، فتعطل المشروع تماما وتبخر هذا الحلم الجميل.
- ينظر: الصالح. محمد. رمضان، ابن باديس والمرأة، مجلة لمحات في الثقافة والعلوم والآداب، العدد الثالث السنة الثانية 1969، ص ص 22 - 25 .
- 9- يلاحظ أن ابن باديس كما بدأ بعبارة التشرف اختتمها بعبارات التشرف أيضا وباسمه الخاص وباسم جمعية المسلمين الجزائريين، وهو دليل على الاستشراف الذي كان يملكه الرجل في وقت اجتمعت عوامل شتى للتضييق على المرأة باسم الدين والتقاليد.
- 10- الصالح. محمد. ابن باديس والمرأة، المرجع السابق ص 24 .
- 11- نفسه.
- 12- الخوري. مهة فرح ، سبقن عصرهن .. عادلة بيهم الجزائري من بيروت إلى دمشق مسيرة نبل وإبداع.. عطاء وإنتاج، صحيفة تشرين السورية، العدد 10083، 2008/01/23 ص ص 17 - 18.
- 13- ويس. علياء، عادلة بيهم الجزائري أميرة الرائدات العربيات في القرن العشرين ، المرجع السابق، ص ص 38 - 39 .
- 14- نفسه.
- 15- نفسه.
- 16- الخوري. مهة فرح ، سبقن عصرهن .. عادلة بيهم الجزائري من بيروت إلى دمشق مسيرة نبل وإبداع.. عطاء وإنتاج، المرجع السابق ص ص 17 - 18.
- 17- ويس. علياء، عادلة بيهم الجزائري أميرة الرائدات العربيات في القرن العشرين ، المرجع السابق، ص ص 38 - 39 .

- 18- الخوري. مهة فرح ، سبقن عصرهن .. عادلة بيهم الجزائري من بيروت إلى دمشق مسيرة نبل وإبداع.
عطاء وإنتاج، المرجع السابق ص ص 17 - 18.

مخطوطة ابن باديس بخط يده

الحمد لله الذي هدانا لهذا
 فطنة وجاد رزق ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م
 في سنة الفقيه الجليله رئيسه جمعية جوقه الادب المحترمة
 (صدام عليكم ورحمة الله وبركاته)
 وبعد فاسجد على يامسيدتي ان تقدم الى حضرتك بعد الكتاب
 عن غير تشريف سابق معروضكم، خيس ما ترخصا به الروايات
 المعروفة القيمة التي ترجم من الفطير السيفيين: الشام
 والجزائر
 يسر يا سيدتي ان تعرف من ان الجبر ان نوصفتموه
 بصفة بيانية تستعمل فياها من العروبة والاسلام غايتها
 رفع مستوى الشعب العقلي والاخلاقي، ومركزها
 هذه النهضة جمعية التزينة والتعليم الاسلاميه بفسطاط
 ولما علمت ادارتها بجمعيتكم المباركة ما فسرته عنها جملته
 والراية العربية، ورحمة ان توسل بعض البنات ليتعلمن
 من رسة الجمعية (جمعية تروثوب من ذواتكم ان تعرفوها
 بالسبل التي ذكرها، فبعض سيديتير يقول تحيات
 الجمعية وافدا صا والسلام من رسة الجمعية اكم الجليل باديس

صورة لمجلة الرابطة العربية:

